

حرية الفكر في النصوص الشرعية وانعكاساتها على حياة الأمة دراسة تحليلية نقدية

Doi: 10.23918/ilic2020.35

الأستاذ المساعد الدكتور كامران أورهمن مجيد
جامعة السليمانية/ كلية العلوم الإسلامية/ رئيس قسم قسم أصول الدين

بسم الله الرحمن الرحيم
مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على من أرسله الله بالهدى والبيانات ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وعلى الله وصحبه أجمعين.

أما بعد : فقد خلق الله تعالى الناس سواسية كأشنان المشط لا فضل لأحد على الآخر في الحياة، ومن الأمور التي بذل الإنسان جهوده من أجل الوصول إليه والتعمت به، وهو ما يطلق عليه بالحرية، ويظهر اهتمام الناس بها بالتصفح عن حال الماضين، وعند المقارنة بما يعيق هذه الحرية، والحرية عنوان عام يحتوي في طياته أنواعا وأقساما، فهناك حرية الفكر أو الاعتقاد، وحرية التصرف والرأي والتعبير وغير ذلك، ولما كانت الحرية من ضروريات الحياة وتتعلق بالقضايا الدينية فضلت أن تكون الحرية موضوعا لهذه الدراسة، وعند التأمل تبين لي أنه موضوع متشعب ولا يمكن الإحاطة به وحتواه في مثل هذه الدراسة فاخترت حرية الفكر على ضوء النصوص الشرعية وانعكاسات هذه الحرية الموجودة بين ثنيا النصوص في واقع المسلمين.

أسباب اختيار الموضوع:

لاختيار هذه الموضوع أسباب منها: أن الحرية أمر ضروري للإنسان فكل زمان ومكان، ولا يسعد الإنسان بلا حرية، وكذلك أهمية الحرية الفكر والمعتقد بالنسبة للأديان والإسلام على وجه الخصوص، لأن الدين الذي له أتباع في كل أنحاء عالم، فمن الضروري أن يكون المسلم على علم بمعالم دينه، يتمنى ويستمتع من حر بيته دون المساس بحرية الآخرين. فالناس بحاجة إلى مثل هذه الدراسات، لوجود دواع كثيرة لتشويه سمعة الإسلام، ولأغراض سياسية وغيرها فيجب التأكيد على مثل هذه الدراسات ليكون الناس على بصيرة وعلم بدينهم.

منهج البحث:

اعتمدت في كتابة البحث على المنهج الاستقرائي حيث تتبع المسائل في مواطنها الخاصة من كلام الأقدمين، وثنايا الكتب ثم علقت عليها بكلام أهل العلم قدر المستطاع.

الدراسات السابقة:

هناك دراسات كثيرة حول الحرية وأنواعها، إلا أن الموضوع بحاجة إلى الحديث أكثر، لأنه يتعلق بالحياة اليومي لكل إنسان ولأنه نشعر بالنقض في كيفية التعامل مع معلم الحرية، ولأن كل باحث له منهجه يختص به، ولأن العنوان المذكور لم أجده في البحوث والدراسات السابقة.

خطة البحث:

المبحث الأول: مفهوم حرية الفكر - تاريخها - وحاجة الإنسان إليها.

المبحث الثاني: حرية الفكر كما صورتها النصوص الشرعية .

المبحث الثالث: انعكاسات النصوص على حرية الفكر في حياة المسلمين.

الختامة

المبحث الأول

حرية الفكر- تاريخها- وحاجة الإنسان إليها

ماهية الحرية ومعناها:

فالحرية لغة من الحر ، بالضم: وهو نقىض العبد، والجمع حرائر وأحرار ، وهذه المادة تدل على معندين: خلاف العبودية، وخلاف البرد^(١) ، وهذه المفردة تدور في فلكها مفاهيم كثيرة، ولذلك يكتنفها بعض الغموض؛ لأن ما ورد في المعاجم في بيان معناها لم يف بالمطلوب، وهي المصطلحات التي

اجتمع حولها اختصاصات مختلفة وعرفها كل منها حسب زاوية اختصاصه ونظرنه إليها.

والمعنى أنساب لهذه الدراسة هو الأول من المعاجم ، وعليه فالحرية معناها خلاف العبودية.

والحرية اصطلاحا تعريفات كثيرة: ولا نخوض في التعريفات الفلسفية ولا المفهوم الغربي لها، لأننا قيدناها بالنصوص، وهذا يضمن لنا عدم الخروج من هذا الإطار:

وهناك تعريفات كثيرة للحرية، وأبذل جهودي لتقديم أهمها بالختصار مفيد، ومن التعريفات :

قدم كل من جابر بن حيان الكوفي(ت١٤٠ هـ) وأبو حامد الغزالي(ت٥٠٥ هـ) بأنها: إرادة تقدمتها رؤية مع تمييز ، ويصدر منه الفعل على سبيل الاختيار^(٢).

(١) - لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم، بيروت، دار صادر، الطبعة ١١٤١٠ هـ (١٨١/٤). ومقاييس اللغة أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، تحقيق: عبد السلام محمد هازون، اتحاد الكتاب العربي، الطبعة : ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢ مـ. مادة: حر، (٢٤٠).

(٢) - أخرجه الترمذى(١٧٤/٤، ١٦٣٨ هـ) وقال: صحيح . والنسانى في السنن(٢٦٦/٣)، رقى ٣١٤٣، والحاكم في المستدرك(١٣٢/٢)، رقى ٢٥٦٠ و قال: صحيح على شرط الشيخيين، وأخرجه أيضًا: البهيفى(٢٧٢/١٠)، رقم ٢١٠٠ .

وعرف محمد فريد وجدي المفكر المصري (١٩٥٤-١٨٧٨) الحرية بانها: "الخلوص وصفه الحر. وقد أطلق هذه الكلمة في العصر الحاضر على خلوص الأمم من استبداد المسيطرین عليها"^(١)، ويعرفها الباحث السعودي الشيخ العليوات بقوله: (الحرية ان تمارس ارادتك على ارضية المسؤولية، وتسمح للاخرين ان يمارسواها كما تحب انت ان تفعل)^(٢).

قال بعض المعاصرين أن الحرية في الإسلام: "تارة يراد بها الخلوص من العبودية فيقال حر(أي غير مملوك) وأخرى يراد بها الرضا والاختيار، فيقال فلان حر في تصرفاته أي غير مكره، كما انها تطلق ويراد منها تخليص النفس من الأوهام والخرافات، كما يقال: فلان متحرر من الاوهام)^(٣)، وكذلك الحر هو الكريم من كل شيء أي خياره واعتقه وطبيه، وحرية القوم: أشرفهم^(٤). وورد في السنة النبوية الشريفة: (من رمى بسهم في سبيل الله فهو له عدل محمر)^(٥) أي: أجر معتق، المحرر الذي جعل من العبيد حر فأعتق، يقال حر العبد يحر حرارة بالفتح أي صار حر)^(٦).

وفي معنى "تحرير رقبة الواردة في القرآن الكريم" قال الجصاص الحنفي(ت ١٣٧٠ هـ): "تحرير رقبة يعني عنق رقبة، وتحريرها ايقاع الحرية عليها، فصارت الرقبة عبارة عن الشخص، وكذلك قال اصحابنا، إذا قال رقبتك حرّة انه يعتق ك قوله أنت حر)^(٧).

تعريف الفكر:

فهو بفتح الفاء وكسرها: إعمال الخاطر في الشيء، **الفَكْرُ التَّأْمِلُ** والاسم **الْفَكْرُ** وال**الفَكْرَة** والمصدر **الْفَكْرُ** بالفتح^(٨)، وعرفه علماء أصول الفقه بأنه: حركة النفس في المعقولات بانتقاله فيها انتقالاً قصدياً تدريجياً وهو يساوي النظر عندهم^(٩). وأما حرية الفكر كمركب فلم أجد تعريفاً واضحاً لها لكن المقصود بها هو: الاختيار في المعتقد والدين، وكذلك الحرية في التفكير والعمل بما أنتجه الفكر في الإطار المحدد المشروع شرعاً.

تأريخ الحرية:

الحرية بمعنى الأول أي ضد العبودية أو حرية الفكر والمعتقد يعود جذورها إلى وجود الإنسان على الأرض من حيث المفهوم والمحتوى، فهي صاحب الإنسان في مشواره؛ رغم الاختلاف الموجود من زمان إلى آخر وعصر ومصر، فالحضاراة اليونانية كانت لا تعطي العبيد أي حقوق اجتماعية^(١٠)، أما من حيث المصطلح وهي ترجمة للفظة(Liberty)^(١١)، وهي يونانية الأصل. وشاع الاهتمام بها من قبل الغربيين.

حاجة الإنسان إليها:

تحدث العلماء عن الحرية وتطرقوا لمكانتها في الحياة، وجعلوها من الضروريات الفطرية، والحياة بلا حرية كفريه بلا عمران، فهي عماد الحياة وأرقى المطالب الإنسانية، ولذلك جعلتها الشريعة من الضروريات التي لا قيام للمجتمع بلا حرية، ولا ننسى أن الحرية لها إطار محدد فالفرد يمارس حريته دون مساس بحرية غيره من أبناء مجتمعه، فالمجتمع الذي يرضخ لسيطرة أو تدخل أجنبى مثلاً لن تكون إرادة أفراده خالصة لهم، وقد جاء الإسلام لتطبيق الحرية في الأرض ولتدعم كرامة الإنسان والحضارة عليها^(١٢). كما في الأشياء الإباحة، وكذلك أن الأصل في الإنسان الحرية، فالإنسان في ظل الشريعة حر دون استثناء.

قال ابن عاشور التونسي: "الحرية خاطر عزيز في النقوس البشرية، فيها نماء القوى الإنسانية، من تفكير وقول وعمل، وبها تتطرق المواهب العقلية متسابقة في ميادين الابتكار والتدقير، فلا يصح أقسام بقيد إلا قيدها يدفع به عن صاحبه ضر ثابت أو يجلب به نفعه"^(١٣).

وقال ابن تيمية: "إن أسر القلب أعظم من أسر الدين واستعباد القلب مستريحاً من ذلك مطمئناً بل يمكنه الاحتيال في الخلاص وأما إذا كان القلب الذي هو الملك رقيقاً مستبعداً متيناً لغير الله فهذا هو الذل والأسر المحض والعبودية لما استعبد القلب.... فالحرية حرية القلب والعبودية عبودية القلب كما أن الغنى عن النفس"^(١٤).

وأهمية الحرية وضرورتها من البديهيات فإذا شعر الإنسان بالاستبداد وسلباً للحرية فلا يستطيع أن يتمي فدراته العقلية والثقافية، ولو استقراناً التاريخ لنجد أن هناك فرقاً بين مجتمع تمنع بالحرية ومن سلب عنه ، ففي القرآن ورد قصص أناس ومجتمعات

^(١)- دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، (٤٠٨/٣)، بيروت، دار المعرفة، الطبعة ٣، (١٩٧١).

^(٢)- نظام الإسلام السياسي، الشيخ باقر شريف القرشي، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م (ص ١٨٣-١٨٤).

^(٣)- ينظر: المنجد في اللغة، بيروت، دار المشرق، الطبعة السادسة والثلاثون ١٩٩٧م (ص ١٢٤).

^(٤)- آخرجه الحكم في المستدرك

^(٥)- لسان العرب، ابن منظور، (٤/١٨١).

^(٦)- أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ). تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، بيروت، دار احياء التراث العربي، ٥١٤٠هـ). (١٢/١).

^(٧)- لسان العرب مادة: فکر (٦/٥٥) ماقلييس اللغة مادة: (٤/٥٨).

^(٨)- أصول الفقه المسمى إجابة السائل شرح بغية الأمل، محمد بن إسماعيل الأمير الصناعي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦، تحقيق: القاضي حسين بن أحتمالسياغي والدكتور حسن محمد مقبول الأهل(ص ٥٣).

^(٩)- مفهوم الحرية في الإسلام - فرانثرب روزنثال- ترجمة وتقديم د. معن زباده - د. رضوان السيد صادر عن معهد الإنماء العربي(ص ١٥). وتطور الآليان نظرية جديدة في منطق التحولات، د. محمد عثمان الخشت، نيو يورك للنشر والتوزيع، ط ٢٠١٧، (٢٤٨).

^(١٠)- مصطلحات عصر العولمة، د. إسماعيل عبدالفتاح عبدالكافى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط ٢٠٠٧، (٢٠٠)، (ص ٨٤).

^(١١)- الحريات من القرآن الكريم، د. علي محمد الصالبي، ط ٢٠١٧، بيروت - لبنان: دار المعرفة، (ص ٣٤+٣٣).

^(١٢)- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام (ص ١٦٢).

^(١٣)- الفتاوى الكبرى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ، تحقيق: حسن بن محمد مخلوف(٥/١٨٢).

أرسل الله لهم الرسل، فرعون على سبيل المثال لما ينافق موسى(عليه السلام) حول دينه وجوده إله حق لا ينفت إلى من حوله إلا عند العجز عن الاستمرار في الحوار، وترى أن مساعديه تابعون له لم يجرأ واحداً منهم أن يفكر مستقلاً ومختلفاً له، وأنت قارن بين هذا المجتمع الذي يحكمه مستبد مع مجتمع ملكة سباً الذي ذكر القرآن الكريم كيفية تعامل هذه الملكة مع نفس الدعوة ، دعوة سليمان إلى الله تعالى، فتجد مع أنها لم تلتقي سليمان بعد ولم تر أحداً منهن معه بل مجرد جاءتها رسالة عن مجھول، إلا أنها جمعت وزرائها وشائرتهم حول الرسالة، وهم تحدثوا بكل حرية ولمحوا بالاختيار العسكري، لكنها اختارت طريقة موقفة لاختبار سليمان لنعرف مدى صدقه قبل إعلان الحرب معه، ظهر لها صدقه، ونجي المجتمع بسبب الحرب والحرية في التعبير والتفكير، وأما نتيجة فرعون وكثير من أرسل الله عليهم الرسل فكان الهلاك والغرق، نتيجة للاستبداد وعدم السماح للناس أن يكونوا أحرازاً في التفكير وفي التعبير عن الرأي، فالحرية لها آثارها في كثير من جوانب الحياة، وهي من أسباب التطور والإزدهار، فهي من صلب المصالح الانسان والإسلام إنما جاء لحفظ المصالح.

المبحث الثاني

حرية الفكر كما صورتها النصوص الشرعية .

لاقرارات كل مسألة وموضوع لابد من الإلتجاء والاستناد إلى النصوص الشرعية لتأصيل المسوالة وبيان حكمها من الناحية الشرعية، ولما ناتي إلى النصوص الشرعية، نجد أن هناك نصوصاً كثيرة تتطرق إلى الحرية ولعل جمع هذه النصوص كلها وبيان كيفية دلالتها على الحرية في مثل هذا البحث أمر لا يخلو من الصعوبة لكنني سأبذل جهودي في ذكر نماذج منها بقدر ما يتضح به المقصود ويرفع به الغموض :

أولاً: النصوص الواردة في القرآن الكريم في موضوع الحرية:
بداية لا أقصد بالعنوان النصوص التي وردت فيها مشتقات لفظة الحرية، إلا إذا لها صلة بآيات الحرية، بل أركز على النصوص التي تدل على آيات الحرية وتحقيقها.

قوله تعالى: [إِنَّمَا الَّذِينَ آمَنُوا كُنْتُ عَلَيْهِمُ الْقَصَاصُ فِي الْأَنْتَلِي الْحُرُّ بِالْأَخْرَ] (البقرة ١٧٨)، قوله تعالى: [وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا إِلَّا حَطَّا وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا حَطَّا فَتَرْبِيزٌ رَفِيقَةٌ مُؤْمِنَةٌ] النساء، آية: ٩٢ .
فقد عد الإسلام هنا أن الحرية هي الحياة، فجعل في تشريعه عتق الرقبة أي إحياناً كفارة لجريمة القتل الخطأ، الحر الوارد في النص صحيح أن المراد بها ما كانت ضد العبد ومع ذلك لا بد من اطلاق الحرية دون تقييدها إلا بقيد ورد الشرع به، لأن اللفظ له مدلول ومعنى فلا يجوز تخصيصه والمساس بحرية شخص تحت أي اسم أو مبرر.

الحرية الفكرية والعقدية:

أقرت الشريعة الإسلامية في اختيار الدين: وورد في ذلك نصوص منها:
قوله تعالى: [لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيْرِ فَمَنْ يَكُفُرُ بِالظَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعَزْوَةِ الْوُقْفَى لَا إِنْفَضَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْهِ] (البقرة، آية: ٢٥٦)، قال المفسرون: "أي: لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام^(١)، وقد وردت روايات في سبب نزول الآية^(٢): في رواية نزلت الآية في قوم من الأنصار- أو في رجال منهم- كان لهم أولاد قد هدوا لهم أو نصروه، فلما جاء الله بالإسلام أرادوا إكراههم عليه، فنهاهم الله عن ذلك، حتى يكونوا هم يختارون الدخول في الإسلام^(٣)، وفي رواية أخرى: أن رجلاً منبني سالم بن عوف يقال له الحصين كان له ولدان مسيحيان وكان هو مسلماً، فقال للنبي^(ص): ألا أستكر همما فإنهما قد أليبيا إلـالـنصرـانـيـة؟ فأنزل الله فيه ذلك^(٤)، وورد غير ذلك روايات كلها تدور في رفض الإكراه^(٥)، فالآلية الكريمة دليل على أن الله تعالى ترك للإنسان حرية تحديد دينه، وأعطاء الإرادة الكاملة في اختيار عقيدته وإيمانه دون إكراه أو إجبار، فهو وحده من يحمل مسؤولية هذا القرار، وأسباب الواردة في نزول الآية كلها تبين أن الجملة إنسانية ومعناها طلب الترك والنهي عن إكراه الغير على أن يقبل الدين أو يدخل فيه.

ومن النصوص الدالة على حرية الفكر والمعتقد، قوله تعالى: [إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا] (الإنسان ٣)، أي بينما له سبيل الحق والباطل والهدى والضلال، وعرفناه طريق الخير والشر... (إما شاكراً وإما كافوراً) يعني إما موحداً طائعاً لله، وإما مشركاً بالله في علم الله وذلك أن الله تعالى بين سبيل التوحيد ليتبين شكر الإنسان من كفره، وطاعته عن معصيته، وقيل في معنى الآية إما مؤمناً سعيداً وإما كافراً شقياً^(٦).

وكذلك قوله عز وجل: [وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَمَهُمْ عَلَى الْهُدَى] [الأعراف من الآية/١٠٧]، قوله: [وَلَوْ شَاءَنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هَذَا هَا] [السجدة/١٣]، قوله: [وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَمَهُمْ عَلَى الْهُدَى] [الأعراف من الآية/٣٥].

^(١)- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن ثابت، أبو جعفر الطبرى، [٤٢٤ - ٣١٠ - ٢٢٤ هـ] ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م(١٥/٤١٤)، وتفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقى [٧٠٠ - ٧٧٤ هـ] ، تحقيق: سامي بن محمد سلام، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م(٦٢/١).

^(٢)- منها ما رواه أبو داود في سننه وغيره وصححه الألباني أن: المرأة تكون مقلاتاً فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار قالوا لا ندع أبناءنا فأنزل الله). باب في الأسير يكره على الإسلام(٢٦٨٤/١١/٣).

^(٣)- جامع البيان في تأويل القرآن، الطبرى(٢٦٣/٨).

^(٤)- أسباب النزول، أبي الحسن علي الواهي النيسابوري ٤٦٨ هـ، دار الباز للنشر والتوزيع ، مكه المكرمة (ص:٧٦)، والدر المنشور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر - بيروت ، ١٩٩٣ م(٢).

^(٥)- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معانى التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر- بيروت / لبنان - ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م

وك قوله تعالى: [الْحُقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكُفُرْ] (الكهف: ٢٩)، أي: ليس إلى من ذلك شيء، ولست بطارد لهوكم من كان للحق متبوعاً، وبالله وبما أنزل على مؤمناً، فإن شتمت فأنتم فاما، وإن شتم فاكفروا، فإنكم إن كفرتكم فقد أعد لكم ربكم على كفركم به نار أحاط بكم سراقتها، وإن آمنت به وعملتم بطاعته، فإن لكم ما وصف الله لأهل طاعته^(١).

وهناك آيات توضح وظيفة الرسول وتؤكد على نفس المعنى الماضى أي حرية الفكر :

وذلك كقوله تعالى: [كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً بَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ] (البقرة: ٢١٣)، فهذه الآية الكريمة صريحة في أن مهمة الأنبياء والمرسلون عبارة عن الدعوة وإبلاغ الدين وبين عقبة المطهعين والعاصين، وقال عز وجل: [فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ] (الغاشية: ٢٢-٢١). ففي هذه النصوص وأمثالها حدد الله تعالى مهمة أنبيائه ورسله في البلاغ المبين، من غير إكراه، وقال له: [إِنَّمَا أَنْتَ ذَيْرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ] (هود: من الآية ١٢-١٥)، بل أمر الله تعالى رسوله أن يخاطب الكفار بأنه على دينه وهم على مختارون فيما يعبدونه: [فَإِنَّ اللَّهَ أَعْيُدُ مُحْلِسًا لَهُ يَنْبِئُ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْحَسَنِيْرِيْنَ الَّذِيْنَ حَسِيرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ] (الزمر: ٤-١٥)، وقال تعالى مخاطباً رسوله: [الْكَمْ بِيَكُمْ وَلَيْ دِينِ] (الكافرون: ٦).

فهذه الآيات الكريمتات وغيرها تدل دلالة واضحة ومصرحة بأن الله سبحانه وتعاليى الذي خلق الإنسان على أحسن صورة: [لَقَدْ حَفَّنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ] (آل عمران: ٤)، والذي أكرمه: [وَلَقَدْ كَرِمَنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيَّابَاتِ] (الإسراء: ٧٠)، وفضلة على غيره: [وَفَضَّلَنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ حَافِنَ تَفْضِيلًا] (الإسراء: ٧٠) فسخر له ما في السموات والأرض: [وَسَخَرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ] (الجاثية: ١٣)، جعل له الحرية في اختيار العقيدة والفكر، ومنع الإكراه في ذلك.

ثانية: مفاهيم الحرية وصورها في السنة النبوية الشريفة:

وفي السنة النبوية وسيرته العطرة، دلائل وإشارات صريحة لما رسمه القرآن الكريم من تحقيق الحرية وحرية الفكر، رغم أنه لم ترد لفظة الحرية في السنة النبوية إلا أنها وردت معانيها وصورها، ومن ذلك أنه^(٢) لم يرو عنه بطريقة صحيحة في وقت ما أجبر أحداً على اعتناق الإسلام وترك دينه، ومع ذلك وردت روایات كثيرة ثبتت إيمانه بحرية الفكر والمعتقد، ولم يسمح المساس بها، ومن هذه الأدلة والصور ما يلى:

١) روى أبو هريرة^(٣) عن النبي^(ص) أنه قال: (أيما إمرئ مسلم أعتق امرأ مسلماً استنقذ بكل عضو منه عضواً منه من النار)^(٤)، وقد وردت روایات تؤيد هذا المعنى، ونحن نسأل لماذا هذا الثواب الكبير على العتق؟، والجواب عن ذلك لأن الله خلق الناس أحرازاً والعبودية أمر طارئ خالق للفطرة، فلذلك يفوز المعتق بهذا الأجر، وعندما يأتي لفظ الحر والعتق عاماً فلزم استعماله كما ورد ولا يجوز تقييده أو تخصيصه، هذا النص الذي تحت على الإعتاق ويدرك فعله وثوابه عند الله تعالى، وهو شامل لرفع القيد عن جميع وجوه العبودية.

٢) عن النبي^(ص) قال: (ثلاثة أنا خصمهم يوم القيمة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرًا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعط أجره)^(٥)، قال الخطابي اعتقاد الحر يقع بأمررين أن يعتقده ثم يكتبه ذلك أو يجده والثاني أن يستخدمه كرهاً بعد العتق^(٦)، قال المهلب وإنما كان إثمهم شديداً لأن المسلمين أكفاء بالحرية فمن بيع حرًا فقد منعه التصرف فيما أباح الله له والزمه الذي أنفقه الله منه^(٧). وقال ابن الجوزي الحر عبد الله، فمن جني عليه فخصمه سيده^(٨) أي الخالق سبحانه وتعالى، وقال ابن بطال: " وإنما عظم الإثم فيمن باع حرًا ، لأن المسلمين أكفاء في الحرمة والذمة"^(٩).

٣) وأنه^(ص) قال لصاحبه معاذ بن جبل^(ص) لما بعثه إلى اليمن: إنك تأتى قوماً من أهل الكتاب. فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فان هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغانيتهم فترد في فقرائهم فإن هم أطاعوا لذلك فليايك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب^(١٠)، فترى كيف علمه دعوة الناس وليس فيه إجبار الناس على قبول الدعوة، وهذا دليل على أنه ليس هناك إكراه على اعتناق الدين والناس حر في فيما يختارونه من العقائد والأفكار.

٤) من جملة شروط وبنود صلح الحديبية الذي تم بين الرسول وبين المشركين: (أنه من أتى محمداً من قريش دون إذن وليه رده عليهم، ومن أتى قريش من مع محمد لم يردوه)^(١١)، فالمشركون أثبتوا أنهم يكرهون الناس على دينهم الوثنى وبقائه معهم أما الرسول فلا.

٥) لما أرسل رسلاه إلى الملوك قال لهم: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله رسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام

^(١) - جامع البيان في تأويل القرآن . ١٠/١٨ .

^(٢) - أخرجه البخاري ومسلم البخاري كتاب العتق، باب فضل العتق(٣٨٧١)، ومسلم باب فضل العتق(٣٨٧١)(٤/٢١٧).

^(٣) - أخرجه البخاري في صحيحه، باب إثم من باع حرًا (٢١١٤)، (٢١١٤/٢)، (٧٧٦/٢).

^(٤) - فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ ابن حجر، القاهرة ، المطبعة السلفية ١٣٧١هـ . (٤١٨/٤).

^(٥) - شرح صحيح البخاري، لابن بطال، أبو الحسن على بن خلف بن عبد الملك بن بطاط البكري الفطبي، مكتبة الرشد- السعودية/الرياض- ١٤٢٣هـ .

^(٦) - ارشاد الساري شرح صحيح البخاري للفسطولي، أحمد بن محمد الشافعي، دار الكتب العلمية، ١٩٧١م (١٨٧٥).

^(٧) - شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٣٤٩/٦).

^(٨) - أخرجه البخاري ومسلم، البخاري ، باب بعث أبي موسى ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم إلى اليمن (٤٠٩٠)، (٤٠٩٠/٤) / ومسلم، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرانع الإسلام (١٣٠)، (١٣٠/١).

^(٩) - تاريخ الطبرى تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠) (١٢١٢)، (١٢١٢-١٢٢٩).

أسلم نسلم يؤتمن الله أجرك مرتبين فإن توليت فإن عليك إثم الأربيسين^(١) ذكر الإثم وهو أمر آخروي وليس في تهديد وإكراه على اعتناق الإسلام.

٦) ذكر أهل التاريخ والسير أنه كانت عند النبي جارية اسمها ريحانة وهي يهودية فعرض عليها السول الإسلام فأبالت إلا اليهودية وقد تعصبت بالإسلام ولم ترضي الإسلام، ولم يجبرها الرسول على الإسلام^(٢)، و اختفت الروايات في إسلامها فيما بعد المهم أنها لم يعتنق الإسلام في البداية ولم يجبرها الرسول علمًا أنها كانت تعيش في بيته.

فهذه النصوص وغيرها تبين وتدل أن الإسلام راعي حرية الفكر والمعتقد فسي تشرعياته، أما نصوص القتال من الآيات والأحاديث فهذه كلها ثابتة ولا إشكال فيها ولا تعارض بينها وبين حرية الفكر والمعتقد، لأن هذه النصوص لها مجالها الخاص بها فلا يتصور أثناء القتال من عدوك إلا القتل والهجم والدفاع وأنت أيضاً لا بد أن تدافع عن إيمانك ونفسك ووطنك وشعبك، فهذا موضوع خاص له أحكامه، وموضع الحرية قضية ثابتة مستمرة، وقد يذكر مسألة الجزية لغير المسلمين وبطعنون بأنه سلب للحرية، لكن الأمر بخلاف ذلك لأن الذين يعيشون مع المسلمين في ديارهم يختارون الأمان باختيارهم، ومن ثم هناك أحكام مالية كالزكوة والضرر والكافرات فإنهما غير ملزمين بهذه الأمور وفي المقابل إنما يعطون الجزية إذا استطاع المسلمين الدفاع عنهم وعن أموالهم، فإذا عجزوا يؤدون لهم المال، علاوة على ذلك الجزية شيء قليل ولا يساوي ربع الضرائب التي تأخذها الدول المتقدمة من مواطنها.

تطبيقات الحرية الواردة في القرآن والسنة في آثار الصحابة:

وبعد وفاة الرسول^(ص) سار أصحابه من الخلفاء الراشدين على منهج القرآن الكريم والذي علمهم رسول الله^(ص) من الاحتفاظ بحق الحرية وعدم الإكراه في الدين وسلب الحرية عن الناس، ونحن نأتي بأمثلة واقعية لإثبات هذه الدعوى:

الأول: لما كان عمرو بن العاص واليا على مصر أيام خلافة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، فقد شارك ابن الوالي عمرو بن العاص في سباق للخيول، وشاركه في ذلك غلام قبطي من غلمان مصر، وحين فاز القبطي على ابن عمرو بن العاص، قام الثاني بضربه لعلمه أنه لا قدرة للقطبي في الانتقام من ابن الوالي مستنداً على سلطان أبيه فشك القبطي إلى عمر^(ص)، واشتهر قول عمر بن الخطاب^(ص) فيما بعد: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرار^(٣).

وهذا على بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: (لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حر)^(٤)، وهذا ربعى بن عامر يعلنها في بplate رستم: (الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام^(٥)).

المبحث الثالث

انعكاسات النصوص على حرية الفكر في حياة المسلمين.

مر معنا النصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية وأمثلة من تصرفات السلف على اقرار الحرية وحرية الفكر والمعتقد، وإنما وردت هذه النصوص لتبيّن للناس الطريق الصحيح للتعامل مع المسائل المذكورة، وعليه فلابد من اتباعها والحفظ على ما جاء فيها، وعدم الخروج عن مدلول هذه النصوص، والمتأمل لتاريخ الطوبل للمسلمين يجد أنهم على صلة بهذه النصوص وبدرجات متفاوتة حسب الظروف والزمان والمكان، والمتأمل لحال المسلمين يجد أن الحرية على أنحاء وأنواع:

أما الحرية بين المسلمين فذا أمر بحاجة وقفة؛ لأنه هناك مسائل مختلفة قد يجوز الحرية في بعضها دون أخرى، فالمسائل العقدية الإيمانية أصولها لا يتسع للحرية، بمعنى أن الذي اعتنق الإسلام فلا يطلق عليه صفة المسلم إلا بعد النطق بالشهادة والإلتزام بأصول الدين وفرعه، التي عبارة عن الإيمان بالله تعالى وبملائكته .. إلخ، والفروع كالصلوة والصوم والزكاة والحج ... وهذه لا يمكن الاختيار فيها فهي مسائل يجب الإيمان بها وإلا لا يعتبر الإنسان مسلماً، وهو حر من اعتناق الإسلام كما سبق، لكن لما يدخل فيه فلابد من الإيمان بها، وهذا معروف في كل دين من الأقوال بأصوله.

وأما المسائل الجزئية والتفصيات في مسائل العقيدة، فهي مختلفة من مسألة إلى أخرى، فالإجتهادية منها لا يكفر أصحابها ولا يفسق، بل بالجملة لم يكفر على بعض الجزئيات، وهذا عند أهل السنة أما عند غيرهم فلهم مذاهب مختلفة فمنهم من أخرج الناس بذنب وإثم ومنهم من أرجأه وهكذا وعده جميع المذاهب ليس سهلاً بهذه العجاله.

وأما مaud القضايا المتعلقة بالإيمان، كمسائل أصول الفقه والفقه فالاختلاف في هذه الأمور قد شاع وذاع، ولا ينكر أحد على غيره بل هذا من أجل علامة على حرية الفكر الاجتهاد، فاختلاف الفقهاء قد يهدا وحديثاً، سواء كان على مستوى الفرد أو المذاهب، فلو يكن يسمح لهذا النوع من الخلاف لكان منعاً للحرية في التفكير والاجتهاد، لكن هذه الحرية أيضاً لها ضوابط معلومة وقواعد معروفة، فلا يجوز الاجتهاد في مقابل نص أو قاعدة معلومة ومعروفة، أو مخالفًا لمقصد من المقاصد، فلو جازت الحرية في هذه الحالة لأدت إلى الفوضى، ولا يسمح للفوضى في جميع الأديان والدول.

وهذا الموضوع كما قلنا لم يكن على وتبيرة واحدة، لأن الأمة مرت بمراحل مختلفة، لأننا نعلم أنه لما انتشر الإسلام ودخل فيه أمم وشعوب، واتسعت رقعته يوماً بعد يوم، وقويت شوكته، ظهرت ملامح خطورات، بل وأمراض داخل المجتمع الإسلامي، فوقعت

^(١) - أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما، البخاري باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام (٢٧٨٢/٣). ومسلم باب كتاب النبي إلى هرقل ، (٤٧٠٧/٥).

^(٢) - تاريخ الطبراني (٥٩٣/٢)، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتاب العربي، لبنان/ بيروت، سنة النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري (١٩٦٣).

^(٣) - تراث الخلفاء الراشدين في الفقه والقضاء، صبحي محمصاني، ص ٩٧، دار العلم للملايين - بيروت، سنة ١٩٨٢ م؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ٢٢٥ - القاهرة، سنة ١٩٦١ م، هذه رواية مشهورة وقد تكلم عليها أهل العلم.

^(٤) - دستور معلم الحكم ومتأثر مكارم الشيش (من كلام أمير المؤمنين على ابن أبي طالب كرم الله وجهه) (تأليف) (الإمام القاضي أبي عبد الله، محمد بن سلامه) (القطاعي رحمة الله عليه) المكتبة الأزهرية (ص ١٢٢).

^(٥) - تاريخ ابن خلدون، مقدمة العلامة ابن خلدون الطبعة الرابعة، دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان (٩٥/٢).

أحداث مرهبة، وفي مقدمتها إغتيال خليفة المسلمين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بين صفوفهم وأثناء أدائه لصلاة الصبح^(١) وتلت هذه الأحداث تصفيية عثمان بن عفان الخليفة المظلوم (رضي الله عنه) في داره، وأثناء تلاوته لكتاب الله تعالى، فقتلواه بأبشع الصور بعد أن منعوه من الطعام والماء لأربعين يوماً^(٢). ولم تتوقف الأحداث بل استمرت وتطورت، فاختير ابن عم رسول الله، علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، خليفة للمسلمين في ظروف غير طبيعية، وذلك لأن قتلة عثمان (رضي الله عنه) لهم نفوذ بين صفواف الأمة، ولم تستقر الأوضاع حتى أن خرجت من حيش الخليفة مجموعة كبيرة بمبررات واهية أو هن من بيت العنكبوت، وأطلق عليهم فيما بعد الخوارج، فتركوا صفواف الأمة بل وعسكروا تجاههم، وأعلنوا العداء للأمة وخليفة المختار للمسلمين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه). إذا فالخوارج نموذج لرفض الحريات فمن هم الخوارج؟.

الخارج:
قال الشهرياني: "كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يُسمى خارجيًّا سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو (من) كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كل زمان"^(٣). وبين ابن حزم أكثر عندما أضاف إليه: "ويلحق بهم من شايعهم على أفكارهم أو شاركهم في أرائهم في أي زمان"^(٤).

ويستنبط من تفسيرات العلماء بتيسير أكثر للروايات التي سبقت، أن الخل الكبير عند الخوارج أو أي تسمية أخرى لم يكن في العادة^(٥)؛ بل لأفكارهم وتصرفاتهم وتعاملهم مع غيرهم.

قال ابن حجر: "ثم اجتمعوا على أن من لا يعتقد معتقدهم كافر وبياح دمه وأهله، وانتقلوا إلى الفعل فاستعرضوا الناس، فقتلوا من اجتاز بهم من المسلمين ومر بهم عبد الله بن خباب بن الأرت، وكان ولها على علی بعض تلك البلاد، ومعه سرية، وهي حامل قاتلهم ويفتروا بطن سريته عن ولد"^(٦).

وهذا هو رفضهم للحرية؛ فلم يعتبروا لا بدليل ولا حوار ولا سمحوا للمقابل أن يسألني بحججه. ويليهم في رفض الحرية المعتزلة، الذين امتحنوا الناس ليعرفوا مدى مخالفتهم في الفروع والجزئيات لهم، فسجلوا فضائح وقبائح في تاريخ المسلمين.

رفض الحرية من قبل الفقهاء المتأخرین:

وللمتأخرین من الفقهاء نصيبي في رفض الحرية في الاجتهاد، والمستقريء لكتبهم يجد مثل هذا في المذاهب الفقیہة، فتجد من يصوب مذهبة ويخطأ غيره، وأوجب على جميع المسلمين اتباع مذهبة، ومن يفضل مذهبة على النصوص مطقاً من ذلك نسب إلى أبي الحسن الكرخي الحنفي أنه قال: "كل آية تختلف ما عليه أصحابنا فهي مؤولية أو منسوبة وحديث كذلك فهو مؤول أو منسوخ"^(٧). وهذا صد للحرية ورفض للحوار وتجاوز على حرية الآخرين.

وقال إمام الحرمين الجویني الشافعی نحن ندعی أن يجب على كافة العاقلين وعامة المسلمين شرقاً وغرباً بعدها وقرباً انتقال مذهب الشافعی ويجب على العوام الطغام والجهال الأنذال أيضاً انتقال مذهبة بحيث لا يبغون عنه حولاً ولا يریدون به بدلاً^(٨)، وروي عن بعض الحنابلة: "فکل من لم يكن حنبلياً، فليس بمسلم"^(٩). فهذه الأقوال كلها عبارة عن التجاوز على حرية الآخرين؛ لأن لهم الحق في الاجتهاد والتفكير والنظر والاستدلال.

أما تصرفات المسلمين مع غير المسلمين، وعدم التجاوز على حقوقهم في الحرية وحرية الفكر والمعتقد على وجه الخصوص، فإنهم حافظوا على حرية من يعيش معهم في مجتمعاتهم إلى حد كبير، ولذلك عاش ويعيش معهم إلى اليوم غيرهم من أهل البيانات الأخرى، وإنما تعاملوا معهم هكذا لأن دينهم أمرهم بذلك كما سبق في المباحث الماضي.

الختام

الحمد لله تعالى على نعمه التي ملأت السموات والأرض، والصلة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. فيبعد هذه الدراسة التي عشت معها قرابة أسبوع، من جمع المصادر والتحقيق والتدقيق لبعض المسائل التي واجهتني أثناء الكتابة، فقد جمع عندي النتائج ولعل من أبرزها :

١) أن الحديث عن الحرية وبيان أبعادها وأنواعها أمر ضروري في كل زمان ولا سيما في يومنا الحاضر الذي صارت الدنيا كقرية صغيرة، يطلع المواطن على جميع الوسائل في العالم، فينبغي أن نذكر شبابنا بأن الحرية في جميع العالم والدول حرية

(١) - قتله أبو لولؤة الفيروزي، وقد طعن: اثنى عشر رجلاً، مات منهم ستة، منهم: عمر، وكليب. وعاش منهم ستة، ثم نحر نفسه بخجره. ينظر: البداية والنهاية، الحافظ اسماعيل بن كثير الممشقي، ت ٢٧٤ هـ. تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ (١٩٨٨ م) / ٢٢ (٤٠٠).

(٢) - تاريخ الطبری، محمد بن جریر، دار الكتب العلمیة - بيروت، ط٧٢٢/٢(٥١)، ٦٧٢ هـ.

(٣) - الملل والنحل، الشهرياني (ت ٥٤٠ هـ)، تحقيق: أحمد فهمي محمد، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢ هـ - ١٤١٣ هـ - ١٠٦ ص وما بعدها. وانظر أيضاً: دائرة المعارف الإسلامية، مجموعة من المستشرقين، التجريدة العربية، يصدرها باللغة العربية أحمد الشنلوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، يراجعها من قبل وزارة المعارف الدكتور محمد مهدي علام، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ (٤٦٩/٨).

(٤) - الفصل في الملل والأهؤاء والنحل، لابن حزم، تحقيق: محمد نصر، عبدالرحمن عميرة، طبعة دار الجبل، بيروت، ١٤٠٥ هـ (١١٣/٢).

(٥) - لأن الخوارج كما ورد في الروايات أنهم كانوا أهل زهد وعبادة. ينظر: فتح الباري (٢٨٣/١٢)، ولكن العبادة تجعل الإنسان صالحًا في نفسه ومصلحة في المجتمع كما ورد في السنة أنه ذكرت عبادة امرأة عند الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أنها: تقوم الليل وتصوم النهار، وتصدق وتغسل، وتؤذى جيرانها بلسانها!، فقال: لا خير فيها، هي من أهل النار. أحمد في المسند (٤٤٠١٢)، والحاكم في المستدرك (١٦٦٤)، لكنها مسيئة لجارها، والجار هو إنسان فيجب أن تؤثر العبادة في حياتها نحو الإيجابية.

(٦) - فتح الباري (٢٨٤/١).

(٧) - أصول الكرخي الطبعة الأولى (مصر المطبعة الأذبية، ص ٨٤).

(٨) - الغيثي. عياث الأئم في التبات الظلم، للإمام الجویني عبد الملك، دار الكتب العلمية، لبنان، (ص ١٣٤)، إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد للصناعي (ص ١٦).

(٩) - سير أعلام النبلاء، الذهبي (٥٠٨/١٨)، إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد للصناعي (ص ١٦).

مقيدة، فتنتهي حرياتك عندما وصلت إلى حريات الآخرين، وإلا فالحرية تكون مضره بالفرد والمجتمع إذا صارت الحياة فوضى باسم الحرية.

٢) أن التشريع الإسلامي أكد على الحرية ، وإن لم ترد لفظتها لكن مفهومها مؤكد عليها النصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية وأثار السلف.

٣) ينبغي الاهتمام بحرية الفكر في التشريع الإسلامي ليكون الناس على بيته من أمرها.

٤) أن التمتع بالحريات المضبوطة سبب للتطور والإزدهار وأن سلب الحريات خلاف للفطرة وسبب للانهيار والهلاك.

٥) أن تعريف الحرية من المتعذر وذلك لأن لها أجوه كثيرة ، فيمكن تعريفها كل حسب نظرته لها واحتراصاته.

وأما توصيات البحث:

أوصي نفسي أولاً وزملائي من الكتاب والباحثين بما يلي:

الاهتمام بإبراز وتشخيص المسائل التي معرفتها فيها سعادة الناس وضروريه لهم كما انبغي الوقوف على ما يضر بالمجتمع، وتعرق أمامها نحو الإزدهار، والبحث كذلك عن القضايا المتعلقة بالحرية كالسلم والتعايش وردة العنف والتطرف، والشروع في هذه المسائل ليستفيد منها الناس. وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبة أجمعين.

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم.

١. أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥ هـ). تحقيق: محمد الصادق قحاوي، بيروت.

٢. ارشاد الساري شرح صحيح البخاري للقططاني، أحمد بن محمد الشافعي، دار الكتب العلمية، ١٩٧١ م.

٣. أسباب التزول، أبي الحسن علي الوادي النسابوري ٤٦٨ هـ، دار الباز للنشر والتوزيع ، مكه المكرمة.

٤. أصول الفقه المسمى إجابة السائل شرح بغية الامل، محمد بن إسماعيل الأمير الصناعي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦، تحقيق: القاضي حسين بن أحتماليساغي والدكتور حسن محمد مقبول الأهل).

٥. أصول الكرخي الطبعة الأولى (مصر المطبعة الأبية)،

٦. البداية والنهاية، الحافظ اسماعيل بن كثير الدمشقي، ت ٧٧٤ هـ. تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.

٧. دائرة المعارف الإسلامية" ، مجموعة من المستشرقين، التجمة العربية، يصدرها باللغة العربية أحمد الشنطاوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، يراجعها من قبل وزارة المعارف الدكتور محمد مهدي علام، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

٨. الدر المنشور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، دار الفكر- بيروت، ١٩٩٣ م.

٩. الحريات من القرآن الكريم، د. علي محمد الصلاي، ط٢٠١٧، ط٢٠١٧، بيروت- لبنان: دار المعرفة.

١٠. الفتاوى الكبرى، أحمد بن عبد الحليم بن نعيمية الحراني أبو العباس، دار المعرفة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٦ هـ، تحقيق: حسنين محمد مخلوف.

١١. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبرى، [٤٢٤ - ٣١٠ هـ] ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، و

١٢. تطور الاديان نظرية جديدة في منطق التحولات، د. محمد عثمان الخشت، نيو بوك للنشر والتوزيع، ط٢٠١٧ م.

١٣. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي[٧٠٠ - ٧٧٤ هـ] ، تحقيق: سامي بن محمد سالمه، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

١٤. تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معانى التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر- بيروت / لبنان - ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م .

١٥. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتاب العربي، لبنان/ بيروت، سنة النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م. الطبعة: الأولى ، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري.

١٦. تاريخ الطبرى، محمد بن جرير، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١٤٠٧ هـ - ١٤٠٧ م.

١٧. الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، تحقيق: محمد نصر، وعبدالرحمن عميرة، طبعة دار الجيل، بيروت ١٤٠٥ هـ.

١٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ ابن حجر، القاهرة ، المطبعة السلفية ١٣٧١ هـ .

١٩. شرح صحيح البخارى، لابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، مكتبة الرشد- السعودية/ الرياض- ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م،

٢٠. الطبعة: الثانية، تحقيق: أبو تمام ياسر بن إبراهيم .

٢١. الغياثي- غيث الأعم في التباث الظل، للإمام الجوني عبد الملك، دار الكتب العلمية، لبنان.

٢٢. لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم، بيروت، دار صادر، الطبعة ١١٤١٠ هـ.

٢٣. الملل والنحل، الشهروستاني(ت ٥٤٨ هـ)، تحقيق: أحمد فهمي محمد، ط٢ ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، ص ١٠٦ .

٢٤. المنجد في اللغة، بيروت، دار المشرق، الطبعة السادسة والثلاثون (١٩٩٧ م)

٢٥. مفهوم الحرية في الإسلام – فرانتر روزنتال – ترجمة وتقديم د. معن زيادة – د.
٢٦. رضوان السيد صادر عن معهد الإنماء العربي.
٢٧. مقاييس اللغة أبي الحسين أحمد بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، الطبعة : ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢ م. مادة: حر.
٢٨. مصطلحات عصر العولمة، د. إسماعيل عبدالفتاح عبدالكافى، دار الثقافة للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٧ م.
٢٩. دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدى، بيروت، دار المعرفة، الطبعة ٣.
٣٠. نظام الإسلام السياسي، الشيخ باقر شريف القرشي، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، الطبعة الثانية، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م)

ملخص البحث

دعا الإسلام إلى التفكير والنظر والتأمل في الكون وأسراره للتعلق والتوصل إلى إثبات مالك له ومعرفة حاجة البشر إلى النبوة والرسالة، وصار التفكير في ظل النصوص القرآنية فريضة إسلامية، ومن الآيات القاضية باستخدام الفكر قوله سبحانه: (قل أنظروا ماذا في السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...) (يونس)، وتنتهي آيات كثيرة بعد بيان المطلوب في مواطن متباعدة بأنها لقوم يعلمون، يعقلون، يتفكرُون، يتذمرون، لأولي الألباب والنهى.

فالنصوص صريحة في اختيار المعتقد والفكر، وحرية الرأي والقول، لذلك منع الإسلام التقليد في الإيمان والحياة العامة كما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تكونوا إمَّعة، إن أحسن الناس أحسنتم، وإن أسوأوا أسوأتم)، وجعل شعار أهله اختيار الاعتقاد على بصيرة، وهي تنفي السطحية والتبعية دون تفكير وحرية الاختيار.

لكن يبقى أمر مهم، وهو مدى تأثير هذه النصوص على حياة المسلمين والمجتمعات الإسلامية. ليس من الانصاف نفي وجودها جملة وتفصيلاً، وكذلك ليس من المعقول انكار ما يحدث هنا وهناك بين المسلمين من الولايات والاحاديث.

فيتبين الوقوف على الاضطرابات الواقعية في المجتمعات الإسلامية، ومعرفة أسبابها.

كلمات مفتاحية: الشريعة، الحرية، الفكر، المعتقد، النصوص، الاختيار.

Research Summary

Islam called for thinking, looking, and contemplating the universe and its secrets of rationality and finding a proof for it and knowing the need of human beings for prophethood and message. Thinking in light of the Qur'anic texts became an Islamic obligation, and from the verses that use the thought says, Glory be to Him: (Say, look what is in the heavens and the earth ...) (Younes), and many verses end after explaining what is required in different citizens that they are people who know, reason, think, and manage, for the first of skins and prohibitions.

However, an important issue remains the extent to which these texts affect the lives of Muslims and Muslim societies. It is not fair to deny its existence altogether and in detail, nor does it make sense to deny what is happening here and there among Muslims from the scourges and events.

Keywords: thinking, freedom, texts.